# المعاني النحوية للحروف في تفسير البيضاوي
## – حروف الجر نموذجا–

د/ صفية بن زينة
جامعة حسيبة بن بوعلي–بالشلف (الجزائر)

**ملخص:**
يحمل كل حرف دلالة نحوية خاصة به، تتجسد في الذهن كلما ذُكر، وبواسطة الحروف تميز المعاني في التراكيب، وللحرف معنى تركيبي عام وآخر خاص يحدده السياق الذي يظهر فيه داخل التركيب، أي إنه يتميز بخصوصية، وتتعين معالم مضامينه في السياقات المتباينة .

لقد شرع المفسرون والنحاة منذ أوائل القرن الهجري الأول ، يتناولون دراسة الحروف في التراكيب القرآنية، مبرزين وظائفها الدلالية في سياقاتها النحوية مع حصر وظيفة كل حرف وتحديد الفروق الدقيقة بينها انطلاقا من السياق .

**الكلمات المفتاحية** : المعاني النحوية – تفسير البيضاوي – التراكيب القرآنية – السياق – الوظائف الدلالية.

***Résumé:***
*Le personnage a un sens de sa propre syntaxe, un objet à l'esprit, et se caractérise par des significations entre les compositions et le contexte d'un rôle important dans la déclaration de la signification du caractère.*
*Il a commencé grammairiens et commentateurs depuis le caractère ancien étudiant dans l'installation Coranique, pour expliquer son travail Rappelez-vous la grammaire du contexte, avec un exposé des différences entre les lettres farineuses hors contexte*
***Mots-clés**: significations grammaticaux - interprétation du el baydaw- Compositions Quranic -Context- Fonctions sémantique*

**مقدمة:**

تعدّ علوم القرآن الكريم من أجل العلوم وأعظمها؛ لأنّها الكاشفة عن المعاني ، وبها توضّح الحجج، وتفسّر الآيات، وعلى الرغم من إبحار المفسّرين في القرآن للكشف عن المعاني الإلهية لآياته ، فإنّ الأفهام ستظل قاصرة عن إدراك حقائقه، وإنما كان ذلك إلاّ ليبقى القرآن معجزة العصور مهما امتدّ بالبشرية الزمانُ.

تبقى حروف القرآن ثابتة المعاني و المقاصد؛ لأنّها الرابط الوحيد بين كلماته ، فلكل حرف معنى ، ولكل معنى تأويل وتفسير، هذا في القرآن ، أمّا الحرف في عرف النحويين فإنّه يحمل دلالة

نحوية خاصة به، تتجسد في الذهن كلما ذُكر، وبواسطة الحروف تميز المعاني في التراكيب ،وللحرف معنى تركيبي عام وآخر خاص يحدده السياق الذي يظهر فيه داخل التركيب ، أي إنه يتميز بخصوصية ، وتتعين معالم مضامينه في السياقات المتباينة.

إنّ النحو والتّفسير عِلمان مُتَداخلان، فكلاهما غايته أَن يصل إلى المعنى الصّحيح، وكُلّ منهما يُؤدّي إلى الآخر، فالإعراب – أحد فروع النحو – السّديد يُؤدّي إلى نظرة صحيحة في تفسير الآية القرآنية، والعكس كذلك.

لقد شرع المفسرون والنحاة منذ أوائل القرن الهجري الأول، يتناولون دراسة الحروف في التراكيب القرآنية، مبرزين وظائفها الدلالية في سياقاتها النحوية مع حصر وظيفة كل حرف وتحديد الفروق الدقيقة بينها انطلاقا من السياق.

سأحاول في هذه المداخلة الموسومة بـ" المعاني النحوية للحروف في تفسير البيضاوي دراسة لحروف الجر " أن أبين تلك الجهود التحليلية التي أبان عنها البيضاوي حين عمد إلى تحليل وظائف حروف الجر في التراكيب القرآنية سالكا رؤية تنظيرية وتأصيلية ،مستعينا بوسائل تعبيرية – تفرد بها – غلب عليها الجانب التطبيقي؛ مستدلا على كل معنى حدّده للحرف.

**الحرف و القسمة الثلاثية للكلم العربيّ**: يمكن لمتصفح كتب النحو القديمة أن يلاحظ مدى اهتمام النحاة العرب بموضوع القسمة الثلاثية، فقد تناولوه تحت عناوين مختلفة منها: الكلام وما يتألف منه[1] وأقسام الكلمة[2]، والكلمة وأقسامها[3]، وقد أولى النحاة العرب اهتماما بالغا لموضوع أقسام الكلم فخصوا له مكانا في مقدمات الكتب النحوية، و احترزنا بالقول أقسام الكلم وليس الكلام، لأن عبارة "سيبويه": الكلم اسم و فعل و حرف[4]، تبين أقسام الكلم لا أقسام الكلام المتمثلة في الخبر والاستخبار والطلب.

فلما كانت اللغة بحرا زخّارا من الكلمات، كان تنظيمها الخطوة الأولى لبناء منظومة نحوية قوية، إذ يروى أن عليّا بن أبي طالب– رضي الله عنه– ألقى صحيفة إلى أبي الأسود الدؤلي– إن صحت الرواية– فيها الكلام كله ثلاثة أشياء، اسم و فعل و حرف[5]. وأكد ابن بابشاذ على ذلك في مقدمته بقوله: "وإنما كان الكلام ثلاثة لا غير لأن العبارة ،على حسب المعبر عنه لا يخلو من أن يكون ذاتا كزيد و عمرو أو حدثا من ذات كقام وقعد أو واسطة بين الذات و حدثها ... فالأسماء عبارة عن الذات و الأفعال عبارة عن الحدث، والحروف عبارة عن الوسائط ،فلذلك كانت ثلاثة على حسب المعبر عنه".[6]

تبدو القسمة الثلاثية عقلية، وقد أغرت بعض النحاة فعمّموها، أمثال " المبرد" حين ذكر، "فالكلام كله اسم وفعل وحرف جاء لمعنى لا يخلو الكلام – عربيا كان أو أعجميا- من هذه الثلاثة "[7]. إذ أن تصريح المبّرد بهذا الأصل العقلي و اعتباره القسمة كلية لا تخرج عنها أية لغة من اللغات تعميم في غير محله؛ لأن اللغات تختلف في أنظمتها النحوية ومسالكها الصوتية والصرفية[8].

وبين محمود السعران" أن الدراسة اللغوية الحديثة ، ترى أن هذا التقسيم لا يتصف بصفة العموم، و ترى أن المرجع في تقسيم الكلمة هو اللغة موضوع الدرس، فقد لا يصدق على لغة ما يصدق على أخرى، أي أن تقسيم الكلمة ينبغي أن تحدده طبيعة الاستعمال اللغوي في كل لغة لا أن يبدأ درس لغة من اللغات بالبحث عمّا فيها من اسم و فعل و حرف"[9].

وعلّل ابن الأنباري" عدم خروج الكلم عن التقسيم الثلاثي بقوله " فإن قيل فلم قلتم إن أقسام الكلام ثلاثة لا رابع لها؟ قيل: لأنا وجدنا هذه الأقسام الثلاثة يعبّر بها عن جميع ما يخطر بالبال و يتوهم في الخيال، ولو كان ههنا قسم رابع ،لبقي في النفس شيء لا يمكن التعبير عنه، ألا ترى أنه لو سقط أحد هذه الأقسام الثلاثة لبقي شيء في النفس لا يمكن التعبير عنه فلما عبر بهذه الأقسام عن جميع الأشياء دل على أنه ليس إلا هذه الأقسام الثلاثة "[10].

واقتفى ابن عصفور أثر ابن الأنباري ، ورأى أنّ أقسام الكلم تنحصر في ثلاثة دون أن تتعداها إلى أكثر من ذلك، ودلّل على ما ذهب إليه بقوله:" والدليل على أن أجزاء الكلام بهذه الثلاثة خاصة أن اللفظ الذي هو جزء كلام إما أن يدل على معنى أو لا يدل، و باطل ألا يدل فإن ذلك عيب، و إن دل فإما أن يدل على معنى في نفسه، أو في غيره لا في نفسه، فإن دل على معنى في غيره فهو حرف، وإن دل على معنى في نفسه فإما أن يتعرض ببنيته للزمان أولا يتعرض، فإن تعرض فهو فعل وإن لم يتعرض فهو اسم، فالأجزاء إذن منحصرة في هذه الثلاثة"[11]، أي الاسم و الفعل والحرف. ويؤكد على هذه القسمة الثلاثية عبد القاهر الجرجاني حين عالج قضية النظم ، بقوله:" معلوم أن ليس النّظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض و جعل بعضها بسبب من بعض، والكلم ثلاث: اسم وفعل وحرف و للتعليق فيما بينها طرق معلومة، وهو لا يعد و ثلاثة أقسام: تعلق اسم باسم، وتعلق اسم بفعل، وتعلق حرف بهما"[12].

ينقسم الكلم حسب ما ذهب إليه النحاة القدماء إلى ثلاثة أقسام: اسم، فعل و حرف، ودافعوا عن انحصارها في هذه الثلاثة دون أن تتعداها إلى أكثر من ذلك، إلا أنهم اختلفوا في تحديد هذه الأقسام الثلاثة، مما يعكس مدى حيرتهم و اضطرابهم في تحديد مفهوم كل قسم من

الأقسام، فحين قسموا الكلم إلى ثلاثة أقسام اسم وفعل وحرف لم يعنوا ببيان المقاييس التي تم بموجبها ذلك التقسيم عندهم.

**حدّ الحرف**: تجدر بنا الإشارة في هذا المقام إلى أن اختلاف النحاة القدماء لم يقتصر على حد الاسم والفعل، بل تعدّى ذلك إلى الحرف، فاختلفوا في حده و إن كان – هذا الاختلاف- أقل منه في الاسم و الفعل.

حيث يرى "سيبويه" أن الحرف ما جاء لمعنى ليس باسم و لا فعل، مثل لذلك بـ(ثم، وسوف، وواو القسم، ولام الإضافة) و نحوها[13].

والظاهر أن غالبية أقوال النحاة تدور في فلك واحد تقريبا، هو أن الحرف كلمة تدل على معنى في غيرها، فقد ذكر " أبو علي الفارسي" أن الحرف ما جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل نحو: لام الجر، وبائه، وهل، وقد وثم، وسوف، و حتى و أما[14]، كما ارتضى " ابن فارس" ما ذكره " سيبويه" في حد الحرف، بعد قوله أن أهل العربية أكثروا في حده أيضا، وأن أقرب ما فيه قوله" سيبويه" في أن الحرف ما أفاد معنى ليس في اسم وفعل نحو قولنا: (زيد منطلق) ثم مقول: هل زيد منطلق ، فأفدنا بـ(هل) ما لم يكن في (زيد) ولا في (منطلق)[15]، وهو بذلك يؤكد دور الحرف في إفادة معنى التعليق.

وذكر "الزمخشري" أن الحرف ما دل على معنى في غيره، و من ثم لم ينفك من اسم أو فعل يصحبه[16]. والملاحظ أن " الزمخشري" زاد على غيره في حد الحرف عبارة "و من ثم لم ينفك من اسم أو فعل يصحبه" حيث يبدو أنه أدرك معنى التعليق الذي يؤديه الحرف في الربط بين الأجزاء المختلفة من الجملة.

كما أوضح " ابن يعيش" أن معنى دلالة الحرف في غيره أنك لو قلت (ال) مفردة لم يفهم منه معنى فإذا قرن بما بعده من الاسم أفاد التعريف في الاسم، مفصلا" ابن يعيش" التعريف القائل بأن الحرف (ما دل على معنى في غيره)، على التعريف القائل ( ما جاء لمعنى في غيره)، وموضحا أن التعريف الثاني يشير إلى العلة، والمراد من الحد الدلالة على الذات لا على العلة التي وضع لأجلها، إذ علة الشيء غيره[17].

ونقل " السيوطي" عن "ابن النحاس" أن الحرف دال على معنى في نفسه مخالفا بذلك ما اشتهر بين النحاة من أنه دال على معنى في غيره، ملخصا رأيه بأن المعنى المفهوم من الحرف في حالة التركيب الكلامي أتم مما يفهم منه عند الإفراد بخلاف الاسم، و الفعل، فإن كل واحد

منهما يفهم منه في حال الإفراد عين ما يفهم منه عند التركيب[18]. وإن لم تدل الكلمة على معنى في نفسها بل في غيرها فهي الحرف، على رأي" ابن عقيل"[19]

وفي رأينا أنه أدرك المعاني التي تدرك من الكلام باستخدام الحروف، و هذا ما يميزها عن بقية أقسام الكلم، و ما يمكننا أن نستخلصه من أقوال النحاة عن الحروف تأكيدا أن الكلام لا يتعدى التقسيم الثلاثي، و أن الحروف قسم ثالث للاسم والفعل.

تختلف الحروف بين حروف النصب و حروف الجزم وحروف الخفض. وقد اختلف النحاة في تسمية الأخيرة منها، فتارة تنعت بحروف الجر وأخرى بحروف الصفات، وحروف الإضافة،كما عبّر الكوفيون؛ لأنها تحدث صفة في الاسم كالظرفية والبعضية والاستعلاء وغيرها من الصفات.[20]

وسبب تسميتها أنها تصنيف معاني الأفعال إلى الأسماء؛ أي توصلها إليها، يقول سيبويه: "وإذا قلت: مررت بزيد، فإنما أضفت المرور إلى زيد بالباء. و كذلك: هذا لعبد الله، وإذا قلت: أنت كعبد الله، فقد أضفت إلى عبد الله الشبه بالكاف، و إذا قلت: أخذت من عبد الله، فقد أضفت الأخذ إلى عبد الله بـ"من" ، وإذا قلت: مذ زمن، فقد أضفت الأمر إلى وقت من الزمان ب"مذ"، وإذا قلت: أنت في الدار. فقد أضفت كينونتك في دار إلى الدار بـ " في".....""[21]، وورد في الكتاب أيضاً حين تحدّث " سيبويه" عن أقسام الكلم في العربية ،ما نصّه " أمّا ما جاء لمعنى و ليس باسم و لا فعل فنحو: ثم، و سوف، وواو القسم ولام الإضافة و نحوها "[22].

أما البصريون وكثير من المتأخرين. فيسمونها حروف الجر، و السبب أنها تجر معاني الأفعال إلى الأسماء أي توصلها إليها[23]، والملاحظ أنها سميت حروف الجر ؛ لأنها تعمل إعراب الجرّ في الأسماء التي بعدها، كما سميت بعض الحروف حروف النصب و حروف الجزم.

ومن خلفية أخرى وبالاعتماد على مقياس الوظيفة. يرى ابن الحاجب أن الحروف سميت حروف الإضافة والجر باعتبار معناها إذ يقول:" سميت باعتبار معناها. كما قيل: حروف النفي وحروف الإضافة و حروف الجر، لأنها تضيف معاني الأفعال إلى الأسماء- أي توصله- و كذلك تجره، و يكون المراد به نفس الإعراب، فكأنها أضيفت إلى الإعراب الذي هو معمولها، كما يقال حروف النصب، وحروف الجزم، وكلها اشتركت في أنها وصلت على ذلك وإن اختلفت معانيها"[24].

لم يحدد النحاة القدماء أية مقاييس، و التي على أساسها فرّقوا بين أقسام الكلم، إلاّ مقياس العلامات ؛ لذلك لم يخرجوا من فلك التقسيم الثلاثي، فكان هذا الأمر السبب المباشر لتوجيه جملة الانتقادات من لدن بعض اللغويين المحدثين- للنحاة القدماء- الأمر الذي أدى ببعضهم إلى

تقديم تقسيمات جديدة لأقسام الكلم وفق معايير حددوها لذلك، منهم : تمام حسان ، مهدي المخزومي ، إبراهيم أنيس.

**علامات الحرف:** إن اختلاف النحاة لم يكن قاصرا على بيان علامات الاسم و الفعل بل تعداه إلى الحرف، فاختلفوا في بيان علاماته، و لأجل أن تتضح الصورة عن جميع أقسام الكلم، نرى من المفيد أن نوجز أهم ما يمكن الاطلاع عليه من أقوال النحاة في علامات الحرف.

ذكر " ابن السراج" علامة لما لا يصلح أن يسمى كلاما تاما في مسار الجملة العربية، حين يستخدم الحرف، وهي علامة تحدد الفرق القائم بين الحرف و بين بقية: أقسام الكلم: فالحرف لا يأتلف منه مع حرف كلام لو قلت: "أمن" تريد ألف الاستفهام و"من"التي يجرّ بها لم يكن كلاما،و كدلك لو قلت :التي للعطف و"قد"التى تدخل على الفعل لم يكن كلاما، ولا يأتلف من الحرف مع الفعل كلام لو قلت :" أيقوم"، ولم تجد ذكر أحد ولم يعلم المخاطب أنك تشير إلى إنسان، لم يكن كلاما.

ولا يأتلف أيضا منه مع الاسم كلام، لو قلت: " أزيدا كان كلاما غير تام[25]. أما "ابن فارس" فقد أورد أن "الأخفش "ذكر للحرف بعض العلامات التي يمتاز بها عن قسيميه، فقال " ما لم يحسن له الفعل و لا الصفة ولا التثنية ولا الجمع و لم يجز أن يتصرف فهو حرف[26].

والحقيقة أن غالبية هذه العلامات تنطبق على الفعل أيضا، فهناك كلمات اعتبرها النحاة أفعالا ولكنها لا تخضع لجدول تصريفي، و يبين الدكتور مصطفى فاضل الساقي أن هذا نموذج آخر عن عجز النحاة في معالجة " تقسيم الكلم" وفق أسس واضحة تضع حدا لفوضى التقسيم، و تتحرر من قيوده التي فرضوها على أنفسهم، دون أن يفرضها عليهم أحد[27].

ويرى " السيوطي" أن الحرف لا علامة له وجودية، بل علامته أن لا يقبل شيئا من خواص الاسم، ولا من خواص الفعل[28].

وأكد "الأشموني" أن علامة الحرف هي ألا تقبل الكلمة شيئا من علامات الأسماء، و لا شيئا من علامات الأفعال[29]. وبهذا يمكن استخدام العلامة العدمية و الاستعانة بها في التفريق بين أقسام الكلم.

وأمّا من جهة الإسناد فالحرف لا يكون مسندا و لا مسندا إليه، و ذلك ما عبّر عنه" ابن السراج" بقوله: " إن الحروف مالا يجوز أن يخبر عنها ولا يجوز أن تكون خبرا نحو: "من و إلى"[30]، أي لا يجوز أن نخبر عن الحرف كما نخبر عن الاسم، فلا نقول:" إلى منطلق" كما نقول:" الرجل منطلق".

ولا يجوز أن يكون الحرف خبرا كما يكون غيره، فلا تقول: عمرو إلى و لا بكر عن"، فقد انتفت في الحرف صلة أثبتت لغيره من الأقسام و هي أن الحرف لا يخبر به.

**بين الحرف والأداة**: أورد سيبويه في كتابه مصطلح الأداة مرادفا لمصطلح الحرف ، يقول "وللقسم و المقسم به أدوات في حروف الجر ، وأكثرها الواو ثمّ الباء "[31]، وسمّى المبرّد همزة الاستفهام ، و إلاّ في الاستثناء ، وواو العطف أدوات[32]، وصرّح السيوطي بالمساواة بينهما قائلا "وأعني بالأدوات الحروف و ما شاكلها من الأسماء و الأفعال والظروف "[33]، فتوسعوا في مفهوم الأدوات وأدخلوا تحتها كل ما شابهها من الأسماء والأفعال، والظروف.

وسار النحاة المحدثون على نهج النحاة القدماء، و توسّعوا في مفهوم الأداة ، فهي عندهم قسم من أقسام الكلم تندرج تحته الأدوات وحروف المعاني وكلها يدل كما قال النحاة على معنى عام حقه أن يؤدي بالحرف، ومعنى ذلك في فهمنا الحاضر أنها تدل على علاقة بين عنصرين أو أكثر من عناصر السياق[34]، فالأداة هي مبنى تقسيمي يؤدي معنى التعليق، والعلاقة التي تعبر عنها الأداة، إنما تكون بالضرورة بين الأجزاء المختلفة من الجملة، و تنقسم إلى قسمين:

الأداة الأصلية: وهي الحروف ذات المعاني، كحروف الجر و النسخ و العطف ...إلخ

الأداة المحولة: وقد تكون: ظرفية، أو اسمية، أو فعلية، أو ضميرية[35] .

فوظيفتها الربط بين أجزاء الجملة، وهو المعنى الذي يقصده النحاة من حروف المعاني، إذ يرى الزجاجي:" أن حد حروف المعاني، وهو الذي يلتمسه النحويون، فهو أن يقال : الحرف ما دل على معنى في غيره، نحو (من) و(إلى) و(ثم) وما أشبه ذلك، و شرحه أن (من) تدخل في الكلام للتبعيض فهي تدل تبعيض غيرها لا على تبعيض نفسها...و كذلك سائر وجوهها ...و كذلك سائر حروف المعاني" [36]، و المقصود بحروف المعاني " الحروف التي وضعت لمعان كان حقها أن يدل عليها بالأفعال، ولكن جيء بها نيابة عنها، ومفيدة معناها الإيجاز والاختصار"[37]، كحروف النفي و النهي والاستفهام، و التوكيد و التمني والعرض و النداء و التعجب، و غيرها.

ولذلك انتهى الرضي في تلخيص رأيه عن معنى الحرف قائلا: " فالحرف وحده لا معنى له أصلا, إذ هو كالعلم المنصوب بجنب شيء ليدل على أن في ذلك الشيء فائدة ما, فإذا أفرد عن ذلك الشيء بقي غير دال على معنى أصلا, فظهر بهذا أن المعنى الإفرادي للاسم و الفعل في أنفسهما و للحرف في غيره"[38]، وأضاف صاحب الكليات توضيحا لهذه المسألة بقوله: " ولو قيل الحرف ما جاء لمعنى في غيره, فهذا مبهم, فإن أريد أن الحرف ما دل على معنى يكون ذلك المعنى حاصلا في غيره, أو حالا في غيره, لزم أن يكون اسم الأعراض والصفات كلها حروفا, وإن

أريد معنى ثالث فلابد من بيانه, والصواب أن المعنى الذي وضع له الحرف سواء كان نسبه أو مستلزما لها, هو المعين بتعيين لا يحصل في الذهن إلا بذكر المتعلق, مثلا: (ليت) موضوع لكل فرد معين من التمنيات التي تتعين بالمتعلقات مثل " زيد قائم ", فلا بد من ذكره وهذا معنى ما قيل: إن الحرف وضع باعتبار معنى عام هو نوع النسبة, والنسبة لا تتعين إلا بالمنسوب إليه, فما لم يذكر متعلق الحرف لا يتحصل فرد من ذلك النوع ،وهو مدلول الحرف لا في العقل ولا في الخارج, وإنما يتحصل بتعلقه, فقد ظهر أن ذكر متعلق الحرف إنما هو لقصور في معناه لامتناع حصوله في الذهن بدون متعلقه, واعتبر مثل هذا في الابتداء ولفظه (من), وأما نحو: (ذو) و(فوق) فهو موضوع لذات باعتبار نسبة مطلقة كالصحبة والفوقية لها نسبة تقييدية إليها, فليس في مفهومه ما لا يتحصل إلا بذكر متعلقه, بل هو مستقل بالتعلق"[39] .

ويرى إبراهيم أنيس أنّ " الأدوات في العربية كثيرة، دخلت الاستعمال على صورة مجموعات، كل مجموعة منها تنتظم عدة أدوات، تشترك في دلالة عامة، وتختلف فيما بينها في الاستعمالات الخاصة"[40]

وأدرجها إبراهيم أنيس – في التقسيم الذي استحدثه — ضمن القسم الرابع و الأخير لأجزاء الكلام، وقد ضمن هذا القسم كل ما بقي من ألفاظ اللغة، ومنها ما يسمى عند النحاة بالحروف، سواء كانت للجر كما يقولون، أو للنفي، أو للاستفهام، أو التعجب، و منها ما يسمى بالظروف زمانية كانت أو مكانية، مثل: فوق، تحت، قبل، و بعد، و غير ذلك.[41]

**التحليل النحوي( المصطلح والمفهوم)**: التحليل على وزن التفعيل مصدر رباعي للفعل "حلَّل"، وجذره المعجمي يرجع إلى الفعل "حلَّ " ، أما استعمالاته كما تذكر المعجمات العربية القديمة ، تكاد تتفق على معنى واحد هو فتح الشيء أو فكّه[42]. أمّا حديثا ، فقد توسع مفهومه، وتجاذبته علوم كثيرة ، ومعناه : تجزئة الشيء وإرجاعه إلى عناصره المكونة له ، فيقال في الطب حللّ الدم ، أي أرجعه إلى عناصره[43].

إنّ أول من استعمل مصطلح التحليل النحوي في الدرس اللغوي حديثا هو تمام حسان ، إلاّ أنّ الشيء الملاحظ على الأستاذ هو أنّه لم يحدد له مفهوما ، و الغالب في استعمالاته له ، أنّه كان يقصد به تجزئة التراكيب وتفكيكها ، من أجل الوقوف على العناصر التي تتشكل منها ، لغرض معرفة وظائفها النحوية المتنوعة[44] .

إن لم يحدّد تمام حسن مفهوم التحليل النحوي ، فإنّ فخر الدين قباوة قد كان على وعي تامّ حين استعمله ؛ لذلك قدّم له تعريفا ، أقل ما يقال عنه أنّه دقيق ، يقول فيه : " التحليل النحوي الذي نريد هو تمييز العناصر اللفظية للعبارة ، وتحديد صيغها ووظائفها والعلاقات التركيبية بينها بدلالة المقام والمقال"[45] .

فهو يرى أن التحليل النحوي إنّما هو إجراء تطبيقي على النصوص المتداولة، حيث يتم فيه تفكيك العبارة أو النص لمعرفة الوحدات المكونة له معرفة إفرادية من حيث الصيغة والمعنى المعجمي للوحدات ومعرفة تركيبية من حيث وظائف الوحدات في العبارة والعلاقات القائمة فيما بينها مع الاستعانة في ذلك كله بالقرائن المقامية والمقالية.

عرف علماء التراث القدامى التحليل النحوي، باسم مصطلح " الإعراب " ، وكان ذو سمة تطبيقية؛ أي كانوا يمارسونه فعليا، ويظهر ذلك جليّا في تحليلاتهم للنصوص باختلاف مراتبها (من القرآن أو الحديث أو الشعر) مبيّنين وظائف الكلمات في التراكيب ، فحدّدوا الأوجه الإعرابية المتنوعة للكلمة، وأبرز ما برعوا فيه هو إعرابهم للقرآن الكريم، وخاصة عند المتقدمين منهم: أبو عبيدة، والفراء، والأخفش ، والزجاج، وابن خالويه، والعكبري وغيرهم كثير، إلاّ أنّ الشيء الملاحظ من خلال اطّلاعنا على مصادرهم، هو أنّهم لم يحدّدوا له مفهوما.

ويظهر ممّا سبق أنّ التحليل النحوي آلية فعّالة في تحليل التراكيب اللغوية ، حيث يتّخذ من النحو رافدا أساسيا يتمّ من خلاله تذوق النصوص المختلفة دون إغفال ظروف إنتاجها ، عبر مراحل بداية من تفكيك المادة المحللة إلى أجزائها ؛ للوقوف على معناها ، ومن ثمّة تحديد بنيتها ، وبيان وظيفة كل جزء منفردا ، ثمّ بيان علاقته بالأجزاء الأخرى في التركيب ؛ لإبراز مكنونات النصوص وأسرارها ولطائفها.

**الدراسة التطبيقية : التحليل النحوي لحروف الجر في تفسير البيضاوي**

سأقتصر في هذه الدراسة على نماذج من حروف الجر ، على أن أسعى إلى بيان تلك الجهود التحليلية التي أبان عنها البيضاوي حين عمد إلى تحليل وظائف الحروف في التراكيب القرآنية.

**نماذج من حروف الجر**: أشار النحاة إلى معنى عام تتفق فيه حروف الجر ، و هو معنى الإضافة ، مع الإشارة إلى معاني أخرى : كالربط و التأكيد و الإفضاء و الإيصال ، كما حدّدوا لها أيضا معاني خاصة ارتبطت بالوظيفة النحوية داخل التراكيب اللغوية.

**حرف الباء**: جاء في تفسيره لـ " بسم الله الرحمان الرحيم "، والتي عدّها آية من آيات الفاتحة، ما نصّه " و الباء متعلقة بمحذوف تقديره : بسم الله أقرأ لأنّ الذي يتلوه مقروء ، وكذلك يضمر كل

فاعل ما يجعل التسمية مبدأ له ، وذلك أولى من أن يضمر أبدأ لعدم ما يطابقه و يدلّ عليه ، أو ابتدائي لزيادة إضمار فيه ، وتقديم المعمول ههنا أوقع... لأنّه أهم و أدل على الاختصاص و أدخل في التعظيم و أوفق للوجود...و قيل الباء للمصاحبة، و المعنى متبركا باسم الله تعالى أقرأ ، وهذا وما بعده إلى آخر السورة مقول على ألسنة العباد... وإنما كسرت ومن حق الحروف المفردة أن تفتح؛ لاختصاصها باللزوم الحرفية و الجر ، كما كسرت لام الأمر و لام الإضافة داخلة على مظهر؛ للفصل بينهما و بين لام الابتداء "[46]، يظهر من هذا التحليل مقدرة البيضاوي على الإلمام بمعاني حرف الباء ، فهو يعتمد على السياق و التقدير؛ ليستقيم معنى التركيب والمعنى الذي ألحقه بالحرف ، فهو يقلّب أوجه الآية بكل ما تحتمله من تأويلات، ثمّ يعمد إلى تعليل الكسر في حرف الجر ، فهو يرى أن سبب كسره هو اختصاصه بالاسم ، ولزومه الحرفية.

ومن المعاني التي ذكرها البيضاوي لحرف الباء " تأكيد النفي " ، جاء في تفسيره لقوله تعالى " وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ "[47] ما نصه " إنكار ما ادعوه ونفي ما انتحلوا إثباته ، و كان أصله و ما آمنوا ليطابق قولهم في التصريح بشأن الفعل دون الفاعل، لكنّه عكس تأكيدا أو مبالغة في التكذيب، لأنّ إخراج ذواتهم من عداد المؤمنين أبلغ من نفي الإيمان عنهم في ماضي الزمن ، ولذلك أكدّ النفي بالباء و أطلق الإيمان على معنى أنهم ليسوا من الإيمان في شيء "[48]. يعمد البيضاوي إلى السياق؛ ليثبت معنى الباء في الآية ، فلّما كان المعنى العام للآية النفي، وقع تأكيده بحرف الباء.

وذكر البيضاوي معنى آخر للباء ، قال في تفسير قوله تعالى " فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ "[49]، " من باب التعجيز و التبكيت ،... وقيل : الباء للآلة دون التعدية ، و المعنى إن تحروا الإيمان بطريق يهدي إلى الحق مثل طريقكم ، فإنّ وحدة المقصد لا تأبى تعدد الطرق ، أو مزيدة للتأكيد "[50] ، يرى البيضاوي ، أنّ الباء في الآية تفيد معنى " الآلة " ؛ أي أنّها واسطة ، وليست في هذا الموضع لتعدية الفعل " آمن " ، وأشار في آخر تحليله أن تكون في هذا الموضع للتأكيد.

**الحرف من** : جاء في تفسيره لقوله تعالى " الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ "[51] ، ما نصه " من الأولى للابتداء سواء أريد بالسماء السحاب ، فإنّ ما علاك سماء ، أو الفلك فإنّ المطر يبتدئ من السماء إلى السحاب ومنه إلى الأرض على ما دلت عليه الظواهر ، أو من أسباب سماوية تثير الأجزاء الرطبة من أعماق الأرض إلى جو الهواء فتنعقد سحابا ماطرا ، ومن الثانية للتبعيض بدليل قوله تعالى " فأخرجنا به

ثمرات " واكتناف المنكرين له أعني ماء ورزقا كأنه قال : و أنزلنا من السماء بعض الماء فأخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم ، وهكذا الواقع إذ لم ينزل من السماء كله ، و لا أخرج بالمطر كل الثمرات و لا جعل كل المرزوق ثمارا أو للتبيين "[52].

حدّد البيضاوي معنى " من " الأولى في الآية و قال إنّها " للابتداء "، أي ابتداء الغاية ، ويلاحظ من خلال تحليله أنّه يؤكد على هذا المعنى ، بدليل أنّه لجأ إلى الأدلة العقلية التي ساقها في كيفة نزول المطر، أمّا معنى " من " الثانية في الآية فإنّ معناها كما أورده البيضاوي هو "التبعيض "، ونراه في إثبات هذا المعنى للحرف يلجأ إلى التقدير " أنزلنا من السماء بعض الماء فأخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم " ، فيظهر في تقديره هذا لفظ " بعض "، ويبدو أنّه حدّد هذا المعنى لـ " من " انطلاقا من السياق الذي يبرز معنى الآية

وحدّد البيضاوي معنى آخر لـ " من " ، هو " التبيين " ، ويظهر ذلك في تفسيره لقوله تعالى "مِن مِثلِهِ "[53]، قال " ومن للتبعيض أو للتبيين ، وزائدة عند الأخفش ، أي بسورة مماثلة للقرآن العظيم في البلاغة و حسن النظم ، أو لعبدنا "[54]، ويبدو أن البيضاوي يخالف القائلين بزيادة من في هذا الموضع من القرآن – وعلى رأسهم الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة – ، ويرى أنّها للتبيين اعتمادا على السياق الذي يقتضي عجز المتحدّى (المشركون ) ، فالسياق سياق توضيح لا بدّ فيه من بيان ، فوافق ذلك معنى " من " الذي حدّده البيضاوي حين قدّر الكلام.

وقال في موضع آخر في تفسير قوله تعالى " ما يود مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ "[55] ، " الود محبة الشيء مع تمنيه ، ولذلك يستعمل في كليهما ، ومن للتبيين، ... " أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ " مفعول يود ، ومن الأولى مزيدة للاستغراق، والثانية للابتداء ، وفسّر الخير بالوحي، والمعنى أنّهم يحسدونكم به وما يحبون أن ينزّل عليكم شيء منه و بالعلم والنصرة، ولعلّ المراد به ما يعمّ ذلك"[56]، حدّد البيضاوي معاني "من" في الآية ، وهي: التبيين والاستغراق، والابتداء ، معلّلا ما ذهب إليه من معنى لها ، انطلاقا من السياق ، فهو في كل مرة يلجأ إلى التقدير لبين معنى التركيب ، ودلالة من فيه.

يظهر ممّا تقدّم أنّ البيضاوي أضاف معاني أخرى للحرف "من" غير تلك التي ذكرها النحاة، وهي: التبيين، والاستغراق، فالنحاة[57]، لم يذكروا هذين المعنيين، وإنما جاءت عندهم للتبعيض، وابتداء الغاية، و التوكيد.

**الحرف إلى**: أجمع النحاة على أن معنى الحرف " إلى " هو : انتهاء الغاية ، و لكنّ البيضاوي رأى أنّ من معانيها التعدية ، جاء في تفسيره لقوله تعالى " أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ"[58] ، " الرفث كناية عن الجماع ؛ لأنّه لا يكاد يخلو من رفث وهو الإفصاح بما يجب أن يكنى عنه ، وعدّي بإلى لتضمنه معنى الإفضاء "[59] ، فالفعل أحلّ عدّي بالحرف إلى ، ليصير متعديا إلى مفعولين.

وقال في موضع آخر في تفسير قوله تعالى " وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ "[60]، "والإلقاء : طرح الشيء وعدّي بإلى لتضمن معنى الانتهاء ، و الباء مزيدة و المراد بالأيدي الأنفس ، و التهلكة و الهلاك و الهلك واحد فهي مصدر كالتضرة و التسرة ، أي لا توقعوا أنفسكم في الهلاك ، و قيل معناه لا تجعلوها آخذة بأيديكم ،أو لا تلقوا بأيدكم أنفسكم إليها ، فحذف المفعول " ، يرى البيضاوي أنّ الفعل " ألقى " إنما عدّي بإلى لتضمّنه معنى الانتهاء ، فهي بذلك مناسبة بين معنى الحرف خارج السياق —كما حدّده النحاة — ومعنى الفعل و ربط ذلك كلّه بالسياق ، ويظهر ذلك جليّا من خلال ذكره للأوجه التي يحتملها الكلام.

ويرى البيضاوي أنّ الحرف " إلى " ، قد يرد بمعنى حروف أخرى ، قال في تفسير قوله نعالى "فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ "[61].

" قال من أنصاري إلى الله " ملتجئا إلى الله تعالى أو ذاهبا أو ضاما إليه ، و يجوز أن يتعلق الجار ب "أنصاري " مضمنا معنى الإضافة ، أي من الذين يضيفون أنفسهم من الله تعالى في نصري ، و قيل إلى ها هنا بمعنى مع أو في أو اللام "[62] ، فمعنى إلى هنا المعية و المصاحبة ؛ لأنّها ضمت الأنصار إلى الله، أو معناها في ؛ أو اللام ؛ وذلك واقع لاشتراكها في معنى واحد في بعض المواضع.

**خاتمة** : نخلص ممّا سبق إلى:

– إنّ البيضاوي امتاز بفكر نحوي ثاقب ، أبدع من خلاله في بيان المعاني النحوية لحروف الجر ، و يظهر ذلك جليّا حين ربط بين مواضع الحروف في التراكيب ، و السياق الذي وردت فيه ، ولجوئه في كلّ مرة إلى التقدير ؛ ليقف على المعاني المحتملة لكلّ تركيب قرآني.

– تعددت معاني حروف الجر عند البيضاوي ، و قد أضاف معاني أخرى لحروف الجر غير تلك التي حدّدها النحاة في كتبهم.

– هناك علاقة وطيدة بين علمي التفسير و النحو ، فلا غنى للمفسر عن علم النحو ، و لا يمكن بأية حال الفصل بينهما ؛ لأنّ غايتهما واحدة هي الكشف عن المعاني التي تنبئ عنها التراكيب القرآنية.

## هوامش البحث

[1] الأشموني، شرح الأشموني لألفية بن مالك المسمى منهج السالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق عبد الحميد السيد ،محمد عبد الحميد، المكتبة الأزهرية للتراث ، ( د.ت) ، ج1 ،ص23.

[2] السهيلي عبد الرحمان بن عبد الله، نتائج الفكر في النحو، تحقيق عادل عبد الموجود و علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 (1992) ،ص42

[3] السيوطي جلال الدين،همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق.عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، (2001)، ج1،ص4.

[4] سيبويه، الكتاب ،تحقيق: عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت،(1998)، ج1، ص12.

[5] حسن خميس الملخ، التفكير العلمي في النحو العربي،ا لاستقراء، التحليل، التفسير، دار الشروق، عمان ط1 (2002) ،ص137

[6]ابن بابشاذ الطاهر بن أحمد، شرح المقدمة المحسبة، تحقيق: خالد عبد الكريم، طباعة المطبعة، العصرية، الكويت، (1976)، ج1،ص92.

[7] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[8] محمود السعران، علم اللغة، دار المعارف ،القاهرة ،(1962)، ص38

[9] المرجع نفسه ، ص38.

[10] الأنباري أبو البركات، أسرار العربية، تحقيق فخر صالح قدراه، دار الجيل، بيروت، ط1 (1995)، ص28

[11] ابن عصفور، المقرب، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1(1998 ) ،ص68.

[12] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، مكتبة و مطبعة محمد علي صبيح و أولاده، القاهرة، ط6 (1960)، ص12.

[13] سيبويه، الكتاب، ج1، ص12

[14] الفارسي، الإيضاح، ص8

[15] ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق :عمر فاروق الطباع ،مكتبة المعارف ، بيروت ، ط1، 1993، ص53

[16] الزمخشري، المفصل، ص283

[17] ابن يعيش، شرح المفصل،ج4، ص447

[18]السيوطي، الأشباه و النظائر، راجعه فايز الترحيني، دار الكتاب العربي ،بيروتط3(1996)، ج2، ص09

[19] ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: إميل بديع يعقوب، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت.دت ، ص20

[20] الاستراباذي، شرح الكافية، ج2، ص354

[21] سيبويه، الكتاب، ج1، ص421

[22] المصدر نفسه، ج1، ص12

[23] الصبان محمد بن علي، حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك دار الفكر، ط1، 1999، ج2، ص768.

[24] خليل إبراهيم السامرائي، حرف الجر وتعلقها، مجلة الأحمدية، العدد السابع، الإمارات العربية المتحدة، 2001.ص298

[25] ابن السراج، الأصول في النحو، ص41

[26]ا بن فارس، الصاحبي ، ص87

[27] مصطفى فاضل الساقي ، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة ، قدم له :تمام حسان ، الناشر مكتبة الخانجي ، القاهرة، 1977.، ص85

[28] السيوطي، همع الهوامع، ج1، ص27

[29] الأشموني، شرح الأشموني على ألفية بن مالك، ج1، ص48

[30] ابن السراج، الأصول في النحو ج1، ص37

[31] سيبويه ، الكتاب ، ج2 ، ص496.

[32] المبرّد ، المقتضب ، ج3، ص46.

[33] السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ج1، ص169.

[34] تمام حسان، الخلاصة النحوية، عالم الكتب ، القاهرة ،ط1، 2000.ص41

[35] تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها ، ص123-124

[36] الزجاجي أبو القاسم، الإيضاح في علل النحو، ص54

[37] الدسوقي، حاشية الدسوقي على مغنى اللبيب، عن كتب الأعاريب ، وضع حواشيه :عبد السلام محمد أمين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1، 2000،ج2، ص522

[38] الاستراباذي الرضي،' شرح الكافية'، ج1،ص206

[39] الكفوي ، الكليات ، قابله ووضع فهارسه:عدنان درويش ومحمد المصري ،مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1، 1991.

ص 393.

[40] إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة،المرجع نفسه، ص48

[41] إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة،المرجع نفسه، ص294

[2]نظر : ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة، ج 02، ص 20. والخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، ج03، ص354.

[3] ينظر : مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، ص 149.

[4] ينظر تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص 16 . 17 ، 189. و تمام حسان، الأصول، ص 66 .

[5] فخر الدين قباوة ، التحليل النحوي أصوله وأدلته، ص14 .

[46] البيضاوي ، أنوار التنزيل و أسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، تقديم محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت ، ج1 ، ص25.

[47] سورة البقرة ، الآية 08.

[48] البيضاوي ، أنوار التنزيل و أسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي ، ج1 ، ص44.

[49] البقرة ، الآية 137.

[50] تفسير البيضاوي ، ج1 ، ص109.

[51] سورة البقرة ، الآية 22.

[52] البيضاوي ، أنوار التنزيل و أسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي ، ج1 ، ص55.

[53] سورة البقرة ، الآية 23.

[54] البيضاوي ، أنوار التنزيل و أسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي ، ج1 ، ص57.

[55] البقرة ، الآية 105.

[56] تفسير البيضاوي ، ج1 ، ص99.

[57] ينظر : سيبويه ، الكتاب ، ج4 ،ص 224 ، و المبرد ، المقتضب ، ج4 ، ص126.

[58] البقرة ، الآية 187.

[59] تفسير البيضاوي ، ج1 ، 126.

[60] البقرة ، الآية 195.

[61] آل عمران ، الآية 52.

[62] تفسير البيضاوي ، ج2 ، ص19.